الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران1 – أحمد بن بلّة –

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

جماليات التكرار وآلياته في التماسك النصي
قصيدة مديح الظل العالي
للشاعر محمود درويش أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في مشروع اللسانيات النصية

إعداد الطالب: علي بوعلام

إشـراف: أ. د/محمد ملياني

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
ناصر اسطنبول	أستاذ التعليم العالي	وهران	رئيسا
محمد ملياني	أستاذ التعليم العالي	وهران	مشرفا ومقررا
مسعود أحمد	أستاذ التعليم العالي	وهران	عضوا مناقشا
فاطمة الزهراء حبيب زحماني	أستاذة محاضرة .أ	وهران	عضوا مناقشا

1437–1438هـ

2016–2017م

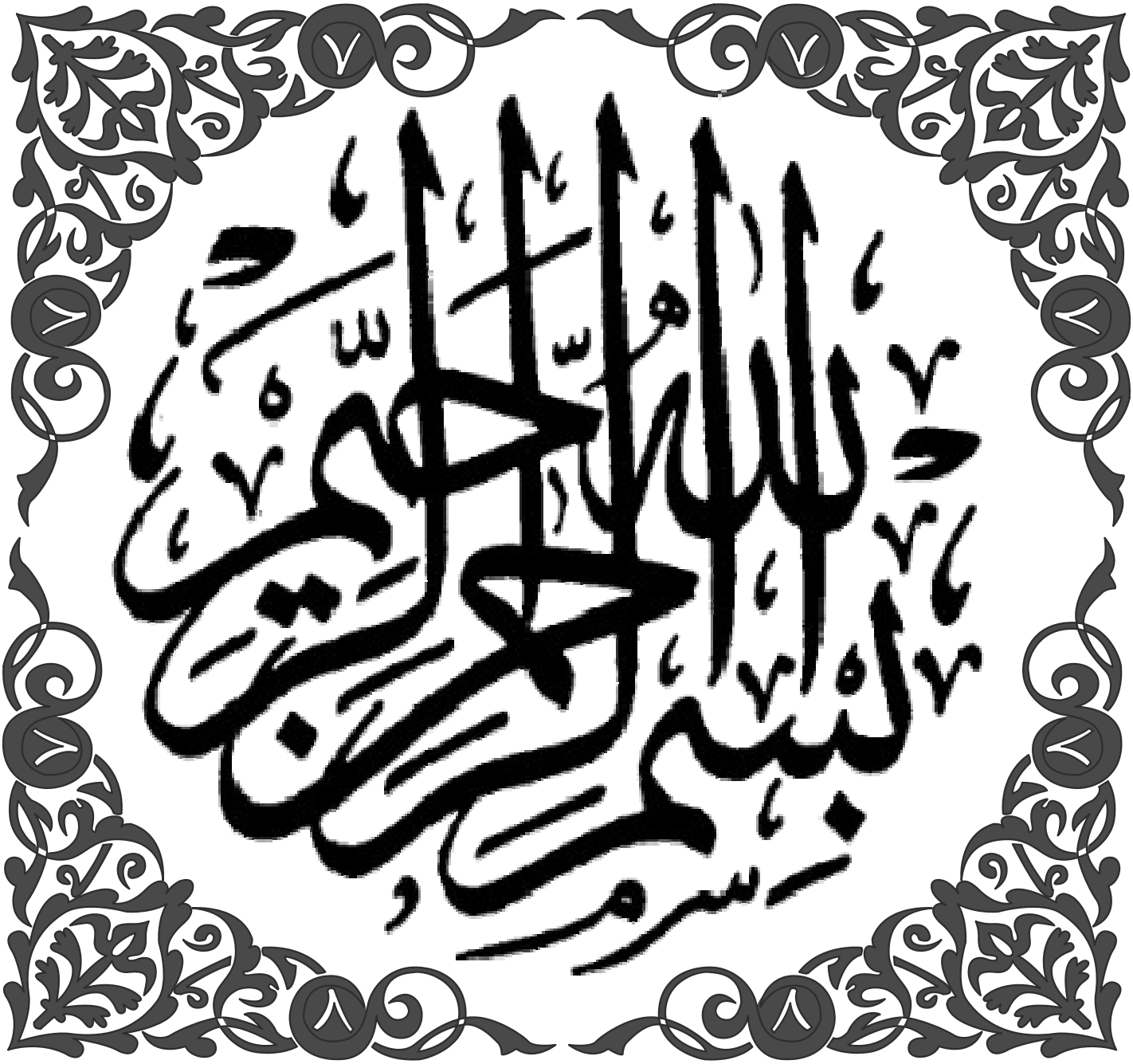
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

الحمد لله ر ب العالمين ، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والشكر لله على ما وهبني من صبر وهدي وتوفيق تخطيت به الصّعاب لإنجاز هذا العمل والصلاة والسلام على الرحمة المهداة نبينا محمد وعلى آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا

أما بعد:

ما كان لي أن أقف على بساط حواشي البحث، ولا أن أساهم بهذا الجهد في ما زادني شرفا، إلاّ فضل من ساعدني على إنجاز هذا البحث، بدء بأستاذي الدكتور المشرف محمد ملياني توجيها، الذي تتبع هذا العمل منذ بداياته، وأبدى ملحوظاتِه القيمةَ التي قَوَّمَتْ فُصولَه، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء، وإلى كلّ من علّمني وجلست بين يديه أسمع حلو الكلام ، وأتذوق طعم العلم، ورأيته نبراسا لي ولغيري يُحي في النفس المعرفة، ويقرّب إليها أنوار الفضيلة، إلى كل من بثّ فِيَ روح البحث والتفاني فيه تشجيعا وتحفيزا .

كمالا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة كلّ باسمه ومقامه على تفضّلهم بقراءة وقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ملاحظاتهم القيّمة التي يتفضلون بإبدائها، فهم أصحاب فضل وريادة .

إنّي مدين بالشكر لكلِّ من نهلت من فيض علمه وكلِ من ساعدني مقّلًا أو مكثرًا.

الإهــداء

إلى من تجرع مرارة الكأس ليسقيني قطرة حب...

إلى من كّلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة...

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم...

إلى روحه الطاهرة الزكية **(والدي العزيز)** .

إلى من أرضعتني الحب والحنان...

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء...

إلى القلب الناصع بالبياض **(والدتي الحبيبة) .**

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي**(إخوتي ، زوجتي ، أبنائي ، بناتي.)** إلى كل هؤلاء

أهدي هذا العمل المتواضع .

مـــقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فقد شغل تعريف النص مساحة كبيرة عند علماء لغة النص، وعلى الرغم من تعدد وتباين مدارسهم اللسانية ومذاهبهم الفلسفية والفكرية التي ينتمون إليها وينطلقون منها إلا أن هناك ما يجمع تعريفاتهم وهو: التأكيد على خاصية ترابط النص وضرورة النظر إليه على أنه وحدة كلية مترابطة وليس سلسلة من التتابعات الجزئية.

إن جل التعريفات المتراوحة بين وحدة النص، وترابطه ودلالتة ، جعلت المقاربة اللسانية تحاول إرساء نظرية نصية متكاملة للمشروع اللساني النصي، حيث أضاف "ديبوجراند" و" دريسلر" المعايير النصية السبعة التي لا يكون النص نصا بدونها.

ويعد" دي بو جراند" من أوائل علماء النص الذين حددوا بدقة متناهية معايير النصية؛ حيث جاءت شاملة لكل تعريفات النص على اختلافها، وقد ضمّن ذلك في كتابه : "النص والخطاب والإجراء" حيث يقول: "وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية Textuality أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها":" السبك ، والحبك ، والمقصدية ، والمقبولية، والمقامية والإخبارية ، والتناص "، وأكثر هذه المعايير أهمية وشيوعا:السبك، والحبك، والمقصدية، ولا يلزم تحقيق هذه المعايير السبعة داخل كل نص، وإنّما يتحقق الاكتمال للنص بوجودها، إذ قد تتشكل بعض النصوص بأقل قدر منها.

فالسبك له أهمية في بناء النص، حيث يقوم بدوره في عملية بناء النص من خلال تحقيق الاستمرارية فيه ، وتنظيم المعلومات بداخله، كما يسهم السبك في سدّ الفجوات اللغوية التي تظهر للمتلقي في النص ، ممّا يحقق له الترابط والاتساق .

وإذا كان **التكـرار** نمطا صوتيا يتصل بالذات المبدعة. ويساعد على تلاحم البناء وترابطه ويشكل نغمة موسيقية قوية، فهو يعين على تشكيل عنصر التأثير والتأثر، وهو عنصر هام في تثبيت الإيقاع الداخلي في فضاء النص الشعري.

ومحاولة لإبراز دور **التكـرار** في تحقيق التماسك النصي، والكشف عن جمالياته في لغة الشعر اخترت أحد الشعراء الذين أبدعوا بكفاءة عالية صياغة النصوص الشعرية وهو الشاعر الفلسطيني: **محمود درويش**، لما يتميز به من شهرة فنية رائعة وصلت في

السبعينيات من القرن الماضي إلى كمال نضجها، فقد تميز شعره بظاهرة التكرار بشتى أساليبه ، وتُعد قصيدته المطولة "مديح الظل العالي" من أوفر القصائد على هذه الخاصية . ولهذا أتى البحث الموسوم: جماليات التكرار وآلياته في التماسك النصي " قصيدة مديح الظل العالي " للشاعر : محمود درويش أنموذجا ، ليحاول الإجابة عن الإشكالية الآتية:

– إلى أي مدى يمكن الكشف عن العمق الفني والدلالي للتكرار في شعر محمود درويش من خلال قصيدته المطولة : مديح الظل العالي ؟

إن هذه الإشكالية تتفرع بدورها إلى العديد من التساؤلات منها :

– فيم تجلت جمالياته؟ وما مدى مساهمته في بناء نصه الشعري ؟

– ما مدى شرعية نظرية التماسك النصي بالتكرار وسلامة قوانينها من خلال نصوص الشاعر؟

– هل يخضع التكرار لسنن لغوية نحوية بحتة ، أم إلى أشياء أخرى؟

ــ ما أنماط التكرار التي اعتمدها الشاعر؟ وهل لها علاقة بنوع النص؟

ـ ما أثر ثقافة الشاعر ورؤيته ومهارته اللغوية في استخدام تقنيات التكرار ؟

وهل يرد عنده عفويا أم ثمّة قصدية تعمدها ؟

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع أمران:

الأول: ذاتي تمثل في :

ـ حب الاطلاع والإثراء المعرفي في ميدان لسانيات النص .

– تعلقي بكل ما ينتجه الدرس اللغوي الحديث

الثاني موضوعي منها، وتمثّل في:

– معرفة ظاهرة التكرار ومدى قيمتها في إعطاء البعد الفني والدلالي للنصوص.

– قلة اهتمام الدارسين والنقاد بظاهرة التكرار كآلية من آليات التماسك النصي.

– قلة الدراسات التي تناولت ظاهرة التكرار في الشعر المعاصر من منظور لسانيات النص

أهمية الموضوع:

يكتسب هذا الموضوع أهميته كونه هو تطبيق على مدونة شعرية عربية حديثة تكشف عن اقتدار الشاعر العربي في توظيف دلالات ورموز تبين عن حاله وتعرّف سياقات النصوص التي كانت تعبّر عن حاله وما يعانيه من أزمات.

الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها

- يهدف هذا البحث إلى:
- محاولته الكشف عن أهمية التكرار في العمل الإبداعي.
- محاولة إبراز دور التكرار في تحقيق التماسك النصي .
- إبراز وظائف التكرار الجمالية والدلالية .
- الكشف عن مدى قصدية الشاعر في توظيف آلية التكرار.

وقسّمت خطة البحث إلى مدخل وثلاثة فصول تتصدرها مقدمة وتلخصها خاتمة.

خـطـة البحـث:

مدخـــل ويمثل عتبة البحث، تناولنا فيه: التماسك النصي بين المنظورين العربي والغربي تضمّن البنية المفاهمية للنص لغة واصطلاحا عند العرب والغرب.

كما تناولت الدراسة جذور التماسك النصي العربي في التراث عند:(اللغويين- البلاغيين- الأصوليين)، ثم التماسك النصي في الدرس الحديث عند العرب وعند الغرب المحدثين.

أما الفصل الأول فقد وُسم ب: التكرار بين القدامى والمحدثين، اقتفينا من خلاله أثر التكرار في تراثنا العربي القديم عند البلاغيين واللغويين والنحاة معرجين على عَلَم من أعلام الأندلس "**السجلماسي** "في" منزعه، ثم التكرار في الأمثال الشعبية والمقامات وعند علماء النص الحديث.

أما **الفصل الثاني** الموسوم: أنماط التكرار وآلياته ووظائفه في الشعر الحديث.

تمثلت الأنماط في: التكرار الهندسي، الشعوري، البياني والوظيفي، وبيّنا وظائف التكرار وأهميته، أمّا الآليات فركّزت على المتكلم والسامع والمقام.

-**الفصـل الثالث:** وهو دراسة تطبيقية لنسقية التكرار وتجلياته الجمالية في قصيدة مديح الظل العالي، تناولت فيه تكرار النسق الصوتي والصرفي وأخيرا تكرار النسق التركيبي ،أما الخاتمـة فكانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

وأخيرا ملحق : نبذة عن الشاعر محمود درويش فقائمة المصادر والمراجع.

المنهج المتبع:

لمعالجة هذا الموضوع اتبعت المنهج الوصفي مع آلية التحليل، بالإضافة إلى توظيف المنهج الإحصائي، حيث يقوم بعدّ مواطن التكرار في العمل الفني وتحليلها وكشف أسرارها وخباياها في الدراسة التطبيقية، كما أنّ البحث لم يغفل المناهج البحثية الأخرى بل جلب كل ماله علاقة بالموضوع.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تناولت ظاهرة التكرار نجد :

1- الاتساق والانسجام في قصيدة مديح الظل العالي، مقاربة لسانية، رسالة ماجستير، في لسانيات النص،قسم اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي-العقيد أكلي محند أولحاج- البويرة، الجزائر، 2009.

2- الاتساق والانسجام في شعر رزاق محمود الحكيم، دراسة في ديوان الأرق، رسالة دكتوراه علوم في اللغة ، تخصص علوم اللسان، للطالبة فاطمة زايدي ، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2013.

3- بلاغة التكرار في قصة موسى، دراسة وصفية إحصائية تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير في الدراسات البلاغية للطالب : بلخير أرفيس، قسم اللغة العربية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة 2006.

4- ظاهرة التكرار وأثرها في الاتساق ، سورة الشعراء " أنموذجا"، رسالة ماجستير في علوم اللسان وتحليل الخطاب ، مدرسة الدكتوراه ، الجزائر2، فرع المدية، للطالبة جويدة يوسف تومي، 2016.

إلاّ أنّ ما نروم الوصول إليه من خلال هذه الدراسة هو البحث في قدرة التكرار على تحقيق اتساق النص، ومن ثم يندرج الموضوع في صلب اللسانيات النصية ، وهو الأمر الذي لم يكن مدار اهتمامات الدراسات السابقة الذكر،وإن كان الأمر كذلك فإن الظاهرة لم تحظ بنصيب وافر إلا ما كان عرضا.

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

اعتمد البحث في دراسته هذه على جملة من المصادر والمراجع أهما: قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة، التكرار في شعر محمود درويش لفهد ناصر عاشور، جمالية التكرار في الشعر السوري المعاصر لعصام شرتح، التكرير بين المثير والتأثير لعز الدين علي السيد، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي القاسم السجلماسي.

الصعوبات :

لا شكّ أنّ البحث اعترضته عوراض كقلة المراجع العربية التي وعى أصحابها أسس اللسانيات النصية ،وصعوبة الصياغة التي تحجب الفهم وتستر المعاني وراء أشكال لغوية أبذل جهدا في فهمها، ولم تكن مشكلة المراجع – على ما جرت عليه العادة – عائقا قط بل العائق في أخذها من نواصيها، والظفر بنفائسها، والقدرة على لم شملها، والربط بينها والإتيان على فهمها فهما سليما.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أتوجه بأسمى معاني الشكر والامتنان والتقدير للمشرف الأستاذ الدكتور **محمد ملياني** على رعايته لهذا البحث، فلكم أسعفتني توجيهاته، فبها تبصرت طريقي وتبيّنت معالم دربي، ورسمت لنفسي خطة عمل،عزمت على إتمامها بكل دقة وعناية.

لقد بذلت في إعداد هذه الرسالة ما استطعت من جهدٍ ووقت، وغايتي أن تكون وافية خالصًة لوجه الله الكريم، راجيا منه الأجر والثواب.

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، كيف وإن كانوا أهلَ فضل وعلم، ومن الواجب أن اعترفَ بجهدِ ذَوِي الفضل والنعمة.

بوسعادة في : 2016/09/04.

الموافق لـ: 02 ذي الحجة 1437هـ

الطالب : علي بوعلام

مدخل: التماسك النصي بين المنظورين العربي والغربي

أولا: تعريف النص

أ- لغة

ب- اصطلاحا

1-تعريف النص عند العرب

- عند العرب القدامى

* عند النحاة

* عند البلاغيين

* عند الأصوليين

- عند العرب المحدثين

2- تعريف النص عند الغرب

ثانيا: جذور التماسك النصي العربي

أ- التماسك النصي لغة

ب- التماسك النصي اصطلاحا

1- عند اللغويين

2- عند البلاغيين

3- عند الأصوليين

ثالثا: التماسك النصي وآلياته في الدرس الحديث

أ- عند العرب

ب- عند الغرب

ظهر تيار معرفي جديد في الستينيات من القرن الماضي، يعنى بمقاربة النصوص الأدبية وغيرها من وجهة نظر لسانية تتجاوز مستوى الجملة إلى النص بوصفه بنية دلالية كبرى له وظائف متعددة، هذا التيار أطلق عليه اسم : **لسانيات النص**، الذي جاء كردة فعل مخالفة للمناهج التي قصرت دراستها على الجملة الواحدة، فتناولتها مفردة معزولة عن سياقها باعتبارها الوحدة الكبرى القابلة للتحليل، وتوسعت في دراسة الأجزاء المكونة لها وبذلك ركزت على الجانب الوصفي للغة، وأهملت كلا من الجانبين الدلالي والتداولي منها.

ولسانيات النص كغيرها من العلوم اللغوية الأخرى تحاول أن تشق طريقها لإثبات أحقيتها في الاعتماد عليها لمعالجة وتحليل النصوص والخطاب من خلال جملة من الوسائل والآليات، وذلك بالتركيز على مبدأين أساسين هما:

أولا : البحث في كيفية ترابط النص وتماسكه من خلال أجزائه المكونة له.

ثانيا: الكشف عن الوسائل اللغوية التي تجعل من النص وحدة قائمة بذاتها، متميزة عن غيرها مترابطة فيما بينها .

فموضوع لسانيات النص بشكل عام هو دراسة النص اللغوي دراسة وصفية تحليلية في إطار يضمن له الترابط و التماسك والتميز والانتظام، سواء أكان النص المدروس نثريا أم شعريا.

و لمعالجة النصوص و تحليلها وفق لسانيات النص، لا بدّ من توافر مجموعة من الوسائل اللغوية التي تجعل النص الواحد قائما بذاته مستقلا عن غيره، و ذلك انطلاقا من وسائل الربط والتماسك السطحي الذي يعرف بالاتساق، والعلاقات الدلالية والمعروفة بعلم النص، والبنى الكبرى التي تعرف بالانسجام، و النظر في السياق الذي ورد فيه النص لمعرفة إمكانية دراسته دراسة تداولية، لأنّ محاولة التعرف على تماسك النصوص لا تكون إلا بإخضاعها إلى هذه المقاربات الثلاث: **الاتساق– الانسجام – البعد التداولي** .

وتماسك النص آلية من آليات دراسة النصوص اللغوية تبلورت ماهيته وأسسه في الربع الأخير من القرن المنصرم على يد "**هاليداي ورقية حسن**"، ومن تبعهما في هذا

المجال، فكان لابد في هذا التمهيد أن نعرض عددا من المصطلحات التي يتم استعمالها في النص وتحتاج إلى توضيح وبيان مفهوم كل منها، ومن المصطلحات التي تعامل معها البحث اللساني: (النص- التماسك - السبك- التكرار....) .

أوّلا: تعريف النص:

أ- لغة:

تأتي مادة (نص) لمعان متعددة أهمها الشهرة والوضوح، والتسلسل، والسيادة والاستقامة والاستواء، وهو معنى الاكتمال، يقول الزمخشري: "الماشطة تنصّ العروس فتقعدها على المنصّة وهي تنتص عليها، أي: ترفعها. وانتص السنام: ارتفع وانتصب.

ونصّ فلان سيّدا: نصّب. ونصصت الرّجل إذا أحفيته في المسألة ورفعته إلى حدّ ما عنده من العلم حتى استخرجته. وبلغ الشيء نصّه أي منتهاه"[1].

وفي اللسان: "... ومنه قول الفقهاء نَصُّ القرآنِ ونَصُّ السنَّة أَي ما دلّ ظاهرُ لفظهما عليه من الأَحكام... وانْتَصَّ الشيءُ وانتصب إذا استوى واستقام قال الراجز:

فبات مُنْتَصًّا وما تَكَرْدَسَا"[2].

إنَّ عملية استقراء المعجمات العربية للكشف عن معاني مادة "نصص" التي هي أصل اشتقاق المصطلح ، ينتج عنها معانٍ متعددة ، أبرزها أربعة هي:

1- الرفع : قال صاحب العين :" نصصتُ الحديث إلى فلان نصاً أي رفعته ... والمنصة التي تقعد عليها العروس ونصصت ناقتي : رفعتها في السير"[3] . ومنه قول طرفة بن العبد:

---

[1] - الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي،ط1، مصر، 1376هـ- 1957م. ص365.

2- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م مادة نصص، ج7، ص111.

[3] - الفراهيدي الخليل بن أحمد(ت 175 هـ) العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم **السامرائ**، دار الشؤون الثقافية بغداد، العراق، 1986م، ج 7، مادة نصص ، ص 277 .

و نصَّ الحديثَ إلى أهلهِ فإنَّ الوثيقة في نصّهِ [1].

2- **التحريك** : جاء في اللسان : "النصنصة : تحركُ البعير إذا نهض من الأرض ونصْنصَ البعير : فحص بصدره في الأرض ليبرُكَ"[2].

وقال الزّبيدي : "نصّ الشيء ينصّه نصَّاً : حرّكه ، وكذلك نصنصَه ... ومنه فلان ينصُّ أنفه غضباً، أي يحركها "[3].

3- **نهاية الشيء** : قال صاحب العين : "نصُّ كلِّ شيء : منتهاه ، وفي الحديث : إذا بلغ النساء نصَّ الحِقاق فالعُصبة أولى" [4]، "والنّصُّ أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها.

ومنه قيل : نصَصْتُ الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كلَّ ما عنده.

وكذلك النّصُّ في السير إ نما هو أقصى ما تقدِ رُ عليه الدَّابة" [5].

4-الإظهار : يسمى المكان الذي ترتقيه العروسة (المنصة) وسُميت بذلك ؛ لأنها تظهر لمَنْ يراها[6]. قال الزّبيدي:"نصَّ الشيء : أظهره وكُلُّ ما أظهر فقد نصَّ" [7].

وورد في مجالس ثعلب (ت 291هـ) : قال أبو العباس : "نصَّه أي أظهره ، وكُلُّ مُظْهر فهو منصوص ، وأصله من نصه إذا أقعده على المنصة... وكُلُّ تبيين وإظهار فهو نصٌّ"[8]، واشتُق من هذا قول الفقهاء : نصُّ القرآن ، ونصُّ السُّنة ، أي ما دلَّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام[9].

هذه المعاني وغيرها التي دونها أصحاب المعجمات العربية، قال عنها أحمد بن فارس

---

[1] – ينظر طرفة بن العبد، ديوانه، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 2002م، ص 51.

2- ابن فارس أحمد بن زكريا (ت395هـ)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا 1979م، مادة "نصص"، ص 349.

[3] – الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، جمالية مصر، ، تصوير دار مكتبة الحياة، بيروت، 1306هـ ،المجلد الرابع، مادة "نصص"، ص 179.

4- ينظر أحمد عفيفي نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق ،القاهرة، 2001م، ص:22-31.

5- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ص125.

6- **الفراهيدي، العين ج5، ص277.**

7- **الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج14، ص27.**

[8]- ثعلب أبوالعباس يحيى بن أحمد ، مجالس ثعلب شر و تح : هارون عبد السلام، دار المعارف،ط1، بيروت ، لبنان، د ت، ص 210

[9] – ابن منظور، لسان العرب، مادة نصص، ج7، ص265.

(ت 395 هـ) إنّها ترجع إلى "أصلٍ صحيح يدلُّ على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء"[1].

فلا ذِكر في المعجمات العربية لدلالة (نصَّ) على مدونة، أو كتاب، أو خطاب وكُلُّ ما هناك أنّه أُشتق من (نصَّ) بمعنى الظهور فقيل : نصُّ القرآن، ونصُّ السنة . وقد يكون مردُّ هذا إلى أنَّ الثقافة الإسلامية هي ثقافة شفوية غير مكتوبة، فمعلوم أنَّ التدوين للأدب تأخر كثيراً فالقرآن الكريم من أوائل النُّصوص التي دوّنها العرب – على قلتها –.

أمَّا أصحاب المعجمات الحديثة فقد تجاوزوا هذه المعاني، وأثبتوا ما قرَّ في ذهن مستعملي اللغة العربية من مفهوم النّص . فمؤلفو المعجم الوسيط عرّفوا النصَّ بأنّه : "صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف"[2] . وعدّوه من الدلالات المولَّدة.

وهكذا أثبتت المعاجم اللغوية عدة معان لكلمة (نص) منها الاستواء، والاستقامة، ودلالة الألفاظ على المعاني والأحكام.

ب- اصطلاحا:

يشكل النص في الدراسات اللسانية المعاصرة مفهوما مركزيا وكلّها- الدراسات اللسانية المعاصرة – تتفق حول ضرورة تجاوز الجملة في التحليل البلاغي إلى فضاء أرحب وأوسع، بل وأخصب في محاورة العمل الفني هو " الفضاء النصي" فقد عَدّت "**خولة طالب الإبراهيمي**" أنّ الاتجاه إلى النص يعتبر فتحا جديدا في تاريخ اللسانيات الحديثة وهو التحول الأساسي الذي حدث في السنوات الأخيرة لأنّه أخرجها – اللسانيات – نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية؛ ومن ثمّ عُدّ النص الصورة الكاملة والأخيرة المتماسكة التي يتم عن طريقها التواصل بين أفراد المجموعة اللغوية، وقد بشّر "**هاريس**" بعلم اللغة النصي حيث لم تعد الجملة كافية لكل مسائل الوصف اللغوي فكان من المفروض أن يتجه الوصف في الحكم على الجملة من وضعها في إطار وحدة كبرى هي النص، وقد عُدّ علم النص في رأيه تطويرا وتوسيعا

[1]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، مادة: (نصص) ص 356..

[2] – شوقي ضيف وآخرون، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004م ، ص 926.

لعلم لغة الجملة الذي شُغل به البنائيون الأمريكان منذ **بلومفيلد** ، كما شُغلت به مدرسة **تشومسكي** في الكفاءة اللغوية التي توصف توليديا في إطار القدرة على توليد عدد لا متناهٍ من الجمل، وقد استطاع **هاريس** بمناهجه النصية المبكرة والمبتكرة التي اعتمدها في كتابه (تحليل الخطاب) تطوير المناهج المتبعة في تحليل الجملة.

ومصطلح "النص" لازال يشهد اضطرابا وعدم استقرار، إذ تعددت الآراء، وكثرت المحاولات حول رسم حدود ومعالم واضحة له، وإذا أردنا التنقيب في هذا المفهوم فإنّه يتعين علينا أولا البحث في تاريخه، أي معرفة المعاني والدلالات المختلفة له لغة، ورصد تطور اللفظ في الدلالة الاصطلاحية من وجهة نظر عربية وغربية.

1-تعريف النص عند العرب :

-عند العرب القدامى :

*** عند النحاة :**

وإذا ما عدنا إلى شيوخ العربية" (الخليل بن أحمد ت 175 ه)، و(سيبويه ت180 ه) فإّننا لا نعثر على مصطلح الجملة في" **الكتاب**"، يقول الدكتور"عبد الرحمن الحاج صالح :" فهذا أمر غريب آخر فلا يوجد أي أثر لكلمة (الجملة) في كتاب" سيبويه" وكذلك (العبارة) جملة مفيدة لا أثر لها في" الكتاب"، ولا نعثر على كلمة(جملة) بعد "سيبويه " إلاّ في كتاب" المبرد" "المقتضب "، ونرجّح أن شيخه "المازني"(ت 249 ه) هو الذي وضع المصطلح فإّنه أول نحوي يستعمل كلمة فائدة" بمعنى العلم المستفاد من الكلام، وهذا المفهوم يعبر عنه" سيبويه "بكلمة " علم"... "[1].

إن" سيبويه يسمي الجملة " كلامًا "يحسن أن يسكت المتكّلم عند انتهائه، لاستقلاله من حيث اللفظ والمعنى، وتتأسس نظرته على التمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب، أي باعتباره حدثًا إعلاميًا يحصل في زمان ومكان معينين، والنظرة إليه كبنية فالكلام المستغنى أو الجملة المفيدة هو أقلّ ما يكون عليه الخطاب، إذا لم يحصل فيه

[1]- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر،الجزائر،2007م ،ج1،ص 292.

حذف، ويمكن أن يحّلل إلى مكونات ووحدات وعناصر خطابية لكل منها وظيفة دلالية وإفادية، كما فعل" سيبويه "في القرن الثاني الهجري، ويفعله علماء اللسان في وقتنا.

إنّ البحث عن مفهوم للنص يمكن أن نبدأه بالحديث عن سيبويه، فإذا كان لم يستعمل" جملة " ولا " جملة مفيدة "، فإنّه قد يستعمل مكانها لفظة " كلام " كوحدة إعلامية تبليغية بين متكّلم ومخاطب، فالكلام المستغنى عنه بالسكوت هو الذي يحقق **الفائدة** وبه يحصل **المعنى**[1] .

وقد ميّز العلماء العرب القدامى بين الفائدة وبين المعنى، فلابد لكل كلام من **معنى**، ولكنّه قد يكون غير مفهوم للسامع، لأنّ السامع يعرفه، وأمّا **الفائدة** فتتمثل في إفادة السامع خبرًا يجهله؛ أي إنّه لم يكن يعلمه، ولا خبر لخصائصه من قبلُ، وإذا كان"سيبويه " قد ألح على هذه الوظيفة فقد اِلتبس الأمر على الذين جاءوا بعده [2].

*** عند البلاغيين:**

– **عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ):** فالنصُّ عنده ما ارتبطت أجزاءُه بعضها مع بعضها الآخر، وأمثل صورة عنده لهذا هو (النصُّ القرآني) الذي يقول فيه: "أَعْجَزَتْهُمْ مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه، ومقاطِعها ومجاري ألفاظها ومواقعها ، وفي مَضرب كُلِّ مثل ، ومساق كُلِّ خبر وصورة كُلِّ عظةٍ وتنبيه وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كُلِّ حُجةٍ وبرهان وصفة وتبيان، وبهرهم أنّهم تأملوه سورة سورة وعُشراً عشْراً ، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها ؛ أو يرى أنَّ غيرَها أصلحُ هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكامًا"[3].

---

[1]–عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص293.

[2]– إبرير بشير، مفهوم النص في التراث العربي الإسلامي، مجلة جامعة دمشق،2007م مج 23، العدد 1،. ص54.

3- الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي أبو بكر ، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر مكتبة الخانجي - مطبعة المدني، ط1، القاهرة، 2008م، ص39.

وما يمكن قوله أنّ الرفع والإظهار يعنيان أنّ المتحدث أو الكاتب لا بدّ له من رفع نصه وإظهاره حتى يفهمه المتلقي.

*** عند الأصوليين:**

لعلّ الإمام الشافعي أول من تطرق إلى مفهوم النص في نظريته عن البيان، حيث ذكر عن النص أنّه " ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره" [1]. وعلى ذلك فالنص ما" لا يحتمل إلاّ معنى واحداً" [2]، أي ما كانت دلالته واحدة على ما يعرف عند الأصوليين "لا اجتهاد مع وجود نص" .

أما ضم الشيء إلى الشيء فهي إشارة إلى الاتساق، و الترابط الحاصل بين الجمل؛ إذ كل تعريفات النص تشترك في أن النص ضم الجمل بعضها إلى بعض بكثير من الروابط حتى تتسق؛ وكون النص أقصى الشيء و منتهاه، فذلك تمثيل لكونه أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها .

-عند العرب المحدثين :

من أبرز تعريفات النص في العربية المعاصرة محاولة "**طه عبد الرحمن**" تعريف النص على أساس منطقي بأنّه :

" كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات" [3].

أما **محمد مفتاح** ؛ فقد عرّف النص بكونه مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة:

- **مدونة كلامية** : يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسماً أو عمارة أو زياً وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل .
- **حدث** : إن كان نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي .

1- الشافعي أحمد بن إدريس: الرسالة ، تح: أحمد محمد شاكر،مصطفى البابي الحلبي، ط1، دمشق، 1940م، ص32.

2- الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي، كتاب المعونة في الجدل، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1 بيروت، 1988م، ص128.

3-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، بيروت، 2000م، ص35.

- **تواصلي** : يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب ... إلى المتلقي .
- **تفاعلي:** على أنّ الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للنص اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها .
- **مغلق** : ونقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية، ولكنّه من الناحية المعنوية هو:

توالدي : إنّ الحدث اللغوي ليس منبثقاً من عدم وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية ... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له "[1].

أمّا**عبد الملك مرتاض** فيقول :"النص في رأينا هو نسج أنيق من الألفاظ الصامتة التي تحتمل المعاني في ذاتها، فهو كتابة سحرية، أو كتابة كأنها السحر. النص هو نسج الألفاظ بجمالية الانزياح، وأناقة النسج، وعبقرية التصوير"[2] .

2-تعريف النص عند الغرب:

يشير **(R. Barthes)** رولان بارت إلى أنَّ النصَّ هو **جسم مُدرك** بالحاسة البصريَّة، وهو يرتبط بالكتابة، أي برسم الحروف . ولو أنّه يبقى تخطيطاً فهو إيحاء بالكلام وتشابك النسيج والكتابة هي السمة الأساسيَّة للنصِّ عنده؛ فالكتابة ضمانة للشيء المكتوب وصيانة له؛ وذلك باكتسابه صفة الاستمرارية؛ فالنصُّ يقف بوجه الزمن والنسيان[3] .

ويعرّف **روبرت آلان دي بيوجراند:(Robert-De Beougrand)** النص بأنّه حدث تواصلي يجب أن تتوافر فيه معايير هي:

1- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص- المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، بيروت، 1986، ص31.

2-عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر، 2007م، ص47.

3- البستاني بشرى حمدى، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم ، دراسة نظرية ، مجلة أبحاث كلية التربية، الأساسية، كلية الآداب ،قسم اللغة العربية ، جامعة الموصل ، العراق مج11، العدد1، ، د ت ، ص 180.

السبك cohesion، والحبك أو الالتحام[1].coherence، والقصد Intentionality، وهو ما يسعى منشئ النص إلى تحقيقه والقبول، أو المقبولية Acceptability، وهو ما يتعلق بموقف المتلقي من النص من حيث القبول أو الرفض والموقفيةأو رعاية الموقف. Situationality، وتتعلق بمناسبة النص للظروف المحيطة بعملية التواصل والتناص Intertextuality، وتتعلق بعلاقة النص بنصوص أخرى سابقة على إنشاء هذا النصى والإخبارية أو الإعلامية Informativity وتتعلق بموقف المتلقي من تصديق المعلومات الواردة في النص.

نستنتج من كل هذه التعريفات السابقة، أنّ النص هو الشغل الشاغل للباحثين في ميدان **لسانيات النص** من جهة، و من جهة أخرى، هي تعريفات تشترك في نقاط جوهرية رئيسة:

– النص هو ما نطق و ما كتب على حد سواء.

– لقد راعت التعريفات الجانب الدلالي و التداولي، و السياقي الوظيفي، أي مراعاة صلة النص بالموقف، الذي يتضمن المرسل و المستقبل، و قناة الاتصال.

كما ركّزت على الاتساق و ضرورته، ليكون النص نصا، و لعلنا نستطيع جمع هذه التعريفات ولمِّ جوانبها في التعريف الذي قدّمه لنا «روبرت آلان ديبقراند R.de " BEAUGRANDE "والفجانج دلايسلر « Woelfgang " و هو تعريف يجمع في طيّاته أغلب مفاهيم النص السابقة، إذ إنّه يراعي المتحدث(المرسل)، والمستقبل (المرسل إليه) والسياق كما يراعى النواحي الشكلية و الدلالية للرسالة؛ "إن النص هو حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن يتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعه، و يزول عنه هذا الوصف، إذا تخلف واحد من هذه المعايير" [2].

[1]– دي بوجراند روبرت ، النص والخطاب والإجراء، ترجمة : تمام حسان، عالم الكتب،ط3، القاهرة، 1998، ص97–107.

2– الفقي، إبراهيم صبحي ، علم اللغة بين النظرية والتطبيق ،دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2000م، ج1، ص146.

وهي معايير تركز على طبيعة كل من النص، ومستعمليه: (المتحدث و المتلقي) والسياق المحيط بالنص، وهذه المعايير هي: الاتساق، الانسجام، القصدية، المقبولية الإخبارية والموقفية والتناص.

ثانيا: جذور التماسك النصي العربي:

أ- التماسك النصي لغة :

يأتي التماسك في **اللغة** مقابلا للتفكّك، وهو بهذا يعني الترابط التام، والشدة والصلابة وفلان يتفكّك ولا يتماسك، وما تماسك أن قال ذلك: وما تمالك، وهذا حائط، لا يتماسك ولا يتمالك. وحفر في مسكة من الأرض: في صلابة"[1].

وفي **تاج العروس:** "وفي صِفَتِه صَلّى اللّهُ عليهِ وسَلّمَ بادِنٌ مُتَماسِكٌ، أَرادَ أَنّه مَعَ بدانَتِه مُتَماسِكُ اللَّحْم، ليس مُستَرخِيَه ولا مُنْفَضِجَه، أي أَنَّه مُعْتَدِلُ الخَلْقِ، كأَن أَعْضاءهُ يمْسِكُ بعضُها بعضًا "[2].

وفي **اللسان:**"المَسِيك من الأَساقي التي تحبس الماء، فلا يَنْضَحُ؛ وأرض مَسِيكة لا تُنَشِّفُ الماءَ لصلابتها، وأَرض مَساك أيضًا"[3].

وعلى هذا سائر المعاجم، فلفظ التماسك فيها يتوجه إلى الدلالة على الصلابة والمتانة وترابط الأجزاء بعضها ببعض.

ب- التماسك النصي اصطلاحا:

1- عند اللغويين:

لقد أدرك اللغويون العرب أنّ النص يجب أن يكون وحدة واحدة، وعبروا عن ذلك بعبارات منها :(جودة السبك)، و(يفرغ إفراغا واحدا)، وقد ذكروا بعض أسس التماسك

---

[1]- الزمخشري محمود بن عمر جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة: تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998م، مادة "مسك"، ص112.

[2] - الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: "مسك"، ص158.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مادة "نصص"، ج7، ص195.

النصي التي أقام عليها العلماء المحدثون أصول نظرية تماسك النص، وإن لم يؤسسوا نظرية عربية في هذا المجال.

***الجاحظ(ت 255 هـ)**: ومن أهم ما ذُكر في هذا المجال ما جاء في البيان والتبيين، فقد نقل الجاحظ عن خلف قوله: "وأجودُ الشِّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهلَ المخارج، فتعلمُ بذلك أنّه قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبِك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان"[1].

فالشعر الجيد الذي يجري على اللسان دون نبوٍّ، فهو عذب سلسال، سلس الوقع متماسك الأجزاء، لا انفصال بين أجزائه تماما، مثل الدهن والدهان الذي يجري فلا ينفصل ولا يفترق بل متلاحم دائما.

ولعلهم يعنون بالتماسك عملية ترتيب الألفاظ في النص، وربط بعضها ببعض؛ حتى لا يستطيع أحد أن ينقل لفظا من موضع إلى آخر، وإن فعل فإن المعنى يختل، ويخرج النص من الجودة إلى الرداءة، ومن القوة والرصانة إلى الركاكة.

لقد حاول القدماء– كما ذكرنا آنفا– أن يصلوا إلى قيم فنية لنقد النصوص، ولم يكن البحث اللغوي واقفا عند حد الجملة، كما يرى بعض الباحثين المحدثين؛ إلاّ أنّه لم يكن يبحث النص بالمفهوم الذي نتناوله به الآن.

2– عند البلاغيين :

يشيد **عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)** بعلم البيان يقول: " إنّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، و أنسق فرعا، وأحلى جنيا، وأعذب وردا، وأكرم نتاجا وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي، ويصوغ الحلي ويلفظ الدرّ وينفث السحر ... والذي لولا تحفته بالعلوم، وعنايته بها وتصويره إياها، لبقيت كامنة مستورة [2].

[1] – الجاحظ أبو عثمان، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،ط7، مصر، 1998م، ج4، ص24 .

2– الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص22–23.

ولم يقف العلماء العرب عند حد الإطار النظري لعملية الترابط والتلاحم هذه؛ بل ذكروا أنواعا من العلاقات في النص، وبينوا كيف تترابط النصوص الصغيرة، مكونة النص الكبير في بيان مدهش.

3- عند الأصوليين:

إذا كان ما قام به خلف الأحمر وحمّاد، وغيرهم من الرواة من انتقاء النصوص الجيدة المتماسكة، أو جيدة السبك كما يذكر الجاحظ يعد مقدّمة ونقطة انطلاق لتكوين نظرية لنقد النصوص ودراستها، وبيان الجيد منها؛ فإنّ ما قام به **الزركشي** ومن بعده **السيوطي** يقترب من التطبيق العملي لبعض أسس تماسك النص في البرهان: "وقال الشيخ أبو الحسن **الشهرباني** أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ **الإمام أبو بكر النيسابوري** وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة انتهى"[1].

وكان بعض العلماء يتحرج من الحديث في عملية ارتباط آي القرآن، وسوره، وعلى رأس هؤلاء كان الشيخ **عز الدين بن عبد السلام**، يقول **الزركشي**: "وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: **المناسبة** *علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر. و قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث، فضلا عن أحسنه، فإنّ القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ لا يحسن أن يرتبط تصرّف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب،

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص245.

* **المناسبة** تعني الارتباط، فمناسبة الآية لما قبلها تعني مدى ارتباطها بها واتصالها، وهي إجابة للسؤال: لمَ جاءت هذه الآية بعد تلك أو قبلها؟

كتصرف الملوك والحكّام والمفتين، وتصرّف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها. انتهى"[1].

ولما اتسعت موجة الطعن في القرآن الكريم، بدخول الفرس والروم في نسيج الدولة الإسلامية، في عهد بني أمية، وازدادت في عهد بني العباس، قام الطاعنون بدور المنبه لعلماء المسلمين إلى بعض القضايا التي لم تشغلهم، وهم يتلون كتاب الله تعالى، ويقومون بتفسيره، ومن هذه القضايا قضية **التكرار**، فاتخذها الطاعنون ميدانا للطعن في القرآن الكريم، على أساس أنّ القرآن إذا كان نصا مقدّسا من عند الله تعالى، فكيف تتكرر فيه بعض الآيات بعينها؟ وكيف تتكرّر أحداث القصة الواحدة في مواضع متعددة؟ واتخذوا من هذا التكرار دليلا على أنّ القرآن من عند محمد– صلى الله عليه وسلم– فهو بشر، ومن طبيعة البشر النسيان، ولذا فقد نسي بعض ما قاله في موقف، فأعاده في موقف آخر، وهكذا.

أيضا رأى هؤلاء الطاعنون أنّ في التكرار عيبا في صياغة النص، وهنا انبرى علماء المسلمين من أهل اللغة يردون على الطعون التي وجهت إلى القرآن.

ثالثا: التماسك النصي وآلياته في الدرس الحديث

أ–عند العرب :

حاول بعض المفسّرين في العصر الحديث تحليل النص القرآني بوصفه نصا متماسكا، فقدّم في مجال تماسك النص شيئا طيبا، فيعد ما فعله **سيد قطب** في تفسيره الرائع : **(في ظلال القرآن)** عملا رائعا في مجال تحليل النص القرآني، فقد أوضح التماسك المعنوي بين آي السورة الواحدة، وقسم آيات السورة أقساما بحسب موضوعاتها، وبين ترابط أجزاء كل موضوع وترابط الموضوعات فيما بينها داخل السورة نفسها، وبين علاقة كل سورة بالتي قبلها حيث تترابط السور كلها في نص لغوي واحد هو القرآن الكريم.

[1]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص365.

وبهذا يكون **سيد قطب** قد كشف عن التماسك المعنوي في القرآن الكريم، أمّا التماسك على المستوى اللفظي، والمعجمي، فلم يشر إليهما. غير أنّ ما فعله سيد قطب في هذا المجال يعد سابقة وفتحا لم يسبقه إليها أحد فيما نعلم. وجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أنّ سيد قطب قد لقي ربّه في الستينيات من القرن الماضي، وقبل أن تتبلور أفكار علم النص، وقبل أن تظهر بوضوح نظرية تماسك النص، ولعل ما كتبه هذا الراحل العظيم كان مقدمة لنشوء هذه النظرية.

وما يمكن أن نستشفه في هذا المجال هو أنّ دراسات تماسك النص في العربية ينبغي أن يكون لها هدفان أساسيان لا غنى لأحدهما عن الآخر، الأول هو هدف نقدي لتمييز النصوص الجيدة عن غيرها، والثاني تعليمي وأعني به اختيار النصوص المناسبة لتعليم اللغة للناطقين بها أو للناطقين بغيرها؛ فإنّ اختيار النصوص المتماسكة، وتدريب الدارسين على أسس التماسك، وصناعة نصوص متماسكة يسهم في بناء الملكة اللغوية لدى هؤلاء الدارسين، وتصبح النصوص المختارة نمطا يحتذى ومثالا يقتدى به. وليست دراسات التماسك من أجل ذاتها.

ب- عند الغرب:

تختلف نظرة الغربيين في مقارباتهم لتماسك النص، وكيفية تطبيقه من باحث إلى آخر ومن مدونة إلى أخرى، فنجد مثلا الدراسة الرائدة التي قدّمت من قبل "**هاليداي ورقية حسن**" سنة **1976** قد ركّزت في اتساق الوحدات السطحية من خلال الوسائل الشكلية التي تظهر على مستوى الجملة .

ويتضح ذلك جليا في كتابيهما الموسوم: "**الاتساق في الإنجليزية**"، أمّا "**فان دايك** " **(Van.Dijk)** فقد قدم آلية جديدة لإثبات تماسك النصوص من خلال كتابه :"**النص والسياق**" وذلك حين تجاوز النظر في البنية الداخلية، وركز أكثر على العلاقات الدلالية في حين اهتم كل من "**براون ويول**" **(G.broun.G.yule)** بالسياق والبعد التداولي للنص من خلال كتابيهما : **تحليل الخطاب (Analyse du discours)** .

-التماسك النصي عند اللغوي الفرنسي "جان ميشال آدم "J.M.Adam":

تعرّضت خولة طالب الإبراهيمي في كتابها(مبادئ اللسانيات)[1] لأهم القواعد المبدئية التي اقترحها اللغوي الفرنسي "**جان ميشال آدم** " لإرساء أسس نظرية متكاملة تحدّد هذه المبادئ إطار التحليل النصي وهي مبنية على ثلاثة فرضيات :

الفرضية الأولى: الطبيعة النصية لممارستنا الكلامية أو الخطابية .

الفرضية الثانية : شروط وقوام النصية "الترابط والانسجام".

الفرضية الثالثة : ضرورة التمييز بين نصية محلية وأخرى عامة .

لتتداول النصوص في المجتمع ينبغي أن تتوافر ملكة نصية تجعلهم قادرين على فهم (إدراك) وإحداث نصية كلامية من هنا تتأكد ضرورة توسيع الملكة النصية العامة التي تسمح بإدراك النصوص .

ويعد كتاب التماسك في الإنجليزية أوّل كتاب متكامل يعالج قضايا تماسك النص وثانيهما: النص وتحليل الخطاب. وهو يتميّز بأنّ عنوانه عن النص وتحليل الخطاب، لكنّه بحث في داخله بالتفصيل أسس تماسك النص، ووضع إطارا عاما لتحليل النص، كما أنّه استخدم الخطاب مرادفا للنص.

-التماسك النصي عند هاليداي ورقية حسن بالإنجليزية Cohesion in English

أعدّ **هاليداي ورقية حسن** كتابا عن التماسك في الإنجليزية صدر عام 1976 تناولا فيه أنماط التماسك وصوره بصورة مفصّلة، فتحدثا في المقدمة عن بعض المفاهيم مثل النص والنصية، والتماسك، وعلاقة التماسك بعلم اللغة، وعلاقته ببناء الخطاب، ثم تناولا أسس التماسك، أو عوامل التماسك، فخصصا فصلا للإحالة، وفصلا للتباديل (أو الإحلال) وفصلا للحذف، وفصلا للربط، وفصلا للتماسك المعجمي، ثم خصصا فصلا لمعاني التماسك. وأخيرا كان تحليل التماسك.

[1]- ينظر خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، ط2 ، الجزائر، 2006م، ص86.

وفي الفصل الأخير من الكتاب ذكر هاليداي ورقية حسن ملخصا لأسس التماسك في الإنجليزية مدعوما بالأدوات المناسبة لكل أساس من هذه الأسس.[1]

وقد عرضا عملية التماسك من وجهة نظر عملية؛ فَأُسُسُ التماسك لديهما تتمثل في:

1- الإحالة، وهي تشمل ما يتعلق بالضمي، وما يتعلق بالوظيفة كالكلمات الدالة على الملكية، والإشارة، وما يتعلق بالظرفية كظرفي الزمان والمكان، وإحالة المقارنات والإحالة الوظيفية.

2- التباديل (الإحلال) وتشمل استخدام اسم بدل اسم آخر، وكذا استخدام فعل بديلا عن فعل آخر، واستخدام علامة النسب بديلا عن ذكر المنسوب إليه.

3- الحذف، ويشمل الحذف في الأسماء، والحذف في الأفعال، وحذف العبارة، والحذف الشكلي، والحذف العام، والحذف الصفري، والحذف الوظيفي.

4- الربط، ويشمل الإضافة، والربط البسيط، والربط المركب، والربط المؤكد، والموازنة، والاستدراك، والمغايرة الداخلية والخارجية، والتصويب في المعنى، والتصويب في اللفظ، الربط عن طريق التسبيب العام والمحدد، وتعاكس السببية، والربط الشرطي والعلاقات الزمانية.

- **الخلاصة**، ويشمل التلخيص، والإجمال.

- **القصد** : ما يقصده منشئ النص .

- **التماسك المعجمي**، ويشمل التكرار، والترادف، والإحداثات، والنقاط العامة، والتنظيم.

وما نستشفه من خلال ما سبق ذكره أنّ أصول التماسك النصي ليست حديثة، لكن الجديد هو الكشف عنها، ومحاولة توظيفها بشكل عملي؛ فقد كان عند علماء العربية القدامى حس لغوي صحيح، وكانت لديهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي والنقدي، وكان يمكن لمن جاء من بعدهم أن يستثمر هذه الرؤية ويطورها، فتصل في النهاية إلى حدّ النظرية العربية في اللغة والنقد .

1-Halliday, M.A.K. and Hasan, R. 1976. Cohesion in English. London: Longman pp: 333- 338 .

فالنص حدث اتصالي، تتحقّق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير، تخلق له النصية،[1]: حسب اللغوي الأمريكي" **روبرت دي بوجراند** " (Debeau-grande) الذي يعدّ من أوائل علماء لغة النص الذين حاولوا أن يحددّوا معايير النصية وهي:

" السبك، والحبك، والمقصدية، والمقبولية، والمقامية، والإخبارية، والتناص ".

وأكثر هذه المعايير أهمية وشيوعا : السبك، والحبك، والمقصدية، ولا يلزم تحقيق هذه المعايير السبعة داخل كل نص، وإنّما يتحقق الاكتمال للنص بوجودها، إذ قد تتشكل بعض النصوص بأقل قدر منها.

كما يسهم السبك في سدّ الفجوات اللغوية التي تظهر للمتلقي في النص، ممّا يحقق له الترابط و الاتساق[2] .

والتماسك المعجمي وسيلة من وسائل سبك النص، وقد اختلف العلماء في تعريفه وتضارب المصطلح فيه، إذ تداخل وترادف مع مصطلحات أخرى كالسبك والحبك والاتساق، والترابط، والانسجام، والتلاحم، هذا من حيث المصطلح، أمّا من حيث التعريف فبعد قراءات متنوعة فيه يمكننا أن نصل إلى أنّ التماسك المعجمي هو ما ذكره أحمد عفيفي في كتابه: نحو النص اتجاه جديد حيث يعرفه بأنّه : "وسيلة لفظية من وسائل السبك التي تقع بين مفردات النص، وعلى مستوى البنية السطحية فيه، تعمل على الالتحام بين أجزائه معجميا، ومعاني جمله وقضاياه .

ومن أشكال التماسك المعجمي **التكرار(Réputation)** وهو شكل، يتطلب إعادة عنصر من النّص، كما أنّه أسلوب بلاغي معروف ورد في القرآن الكريم – كما هو معلوم – ولم يفاجئ العرب بغريب ولكنه أتاهم بجنس كثيرا ما برعوا فيه ، ومع ذلك تحدّاهم في أن يأتوا بمثله.

[1]– إلهام أبو غزالة، مدخل إلى علم لغة النص، الهيئة المصرية، 1999م، ص 146.

[2]–جودة مبروك محمد، التكرار وتماسك النص، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، مصر، 2008م، ص28.

ومن هنا فلا غرو أن نجد لهذا الأسلوب في القرآن الكريم مساحةً ليست قليلة، ولذا فهي ظاهرة جديرة بالدراسة والبحث، خاصة أنّ القرآن الكريم قد أجاد في توظيفها، كما أجاد في عرضها، فهي لم تأت فيه عبثا أو خبط عشواء، ولكن وراءها من الحكم والأسرار ما يدهش العقول، ويأسر الألباب .

ولما أصبح التداخل مع الموسيقى واحداً من الأدوات الرئيسة في بناء القصيدة لدى أغلب الشعراء، حيث أخذوا يسخّرون عدة وسائل لتحقيق الأداء الموسيقي لقصائدهم، ومن هذه الوسائل استخدام **التكرار** وبالأخص في نماذج من الشعر الحر.

فوجود **التكرار** في الشعر إذن لا يبعث الملل والنفور في النفس، بل هو طبيعي يرتبط ارتباطا وثيقا ببناء القصيدة، حتى أصبحت بعض التكرارات تأخذ شكل **(اللازمة)** وهي مظهر من مظاهر الموسيقى وتقنياتها المعروفة.

ولا يخفى ما **للتكرار** من مزايا فنية عديدة سواء من حيث تأثيره في المعنى أم من حيث تأثيره في الموسيقى الشعرية فضلا عن الدلالة النفسية التي يستطيع أن يضفيها على القصيدة إلى جانب أثره في تقوية النغم، فالشاعر المعاصر يحاول قدر الإمكان تجاوز الحدود التقليدية للوزن والقافية، متجها نحو **التكرار** كوسيلة لإغنائها والتجديد فيها، فالإيقاع الصوتي الذي يخلقه تكرار جرس الحروف والكلمات، يُظهر القيمة الفكرية والنفسية التي يعبّر عنها من خلال العناية بتكرار لفظة معينة أو مقطعا معينا.

وإذا كان **التكرار** نمطا صوتيا يتصل بالذات المبدعة. ويساعد على تلاحم البناء وترابطه ويشكل نغمة موسيقية قوية، فهو يعين على تشكيل عنصر التأثير والتأثر، وهو عنصر هام في تثبيت الإيقاع الداخلي في فضاء النص الشعري.

وبما أنّ الموسيقى هي "تحول الصوت إلى إيقاع عن طريق كسر تعاقبه وإقامة التكرارية مكان التعاقب"[1]. جاء توظيف الشعر للتكرار، تأثرا ببنية القطعة الموسيقية القائمة على التكرار فهو ظاهرة صوتية تميّزت بها القصيدة الحرة، وهو إلحاح على جهة معينة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وكذلك يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمامه بها، "وللتكرار دلالة نفسية حيث يفرغ الشاعر حاجاته ومشاعره المكبوتة ليعيد التوازن إلى حالته الطبيعية"[2].

ونشير هنا إلى بعض مواطن التكرار في شعر الشعراء الحداثيين، من ذلك قصيدة "**حوار**" للشاعر صلاح عبد الصبور، فقد كرّر " **أأنت من سكان هذه المدينة!**" في قصيدته هذه ست مرات مكتفيا في مرتين منها بتكرار مفتتح السؤال " **أأنت** .." مع وضع إشارة الحذف. وقد وظف الشاعر **نزار قباني** التكرار في أغلب قصائده ومن هذه القصائد قصيدة "**الحزن**" حيث جعل جملة: " **علّمني حبّك** " مفتتحا لكل مقطع، أمّا الشاعر "**بدر شاكر السّياب**" فقد اعتمد فنيا ومعنويا على التكرار في قصيدته الشهيرة "**أنشودة المطر**" وقد تكررت كلمة مطر بترتيبة معينة تخدم السياق والمعنى وقد بلغ عدد المرات المكررة فيها كلمة مطر (26) مرة .

وحاول الشاعر "**أديب كمال الدين**" أن يغني موسيقى قصيدته من الداخل، إذ لجأ إلى تكوين تجمعات صوتية متماثلة أو متجانسة وهذه التجمعات إنّما هي تكرار لبعض الأحرف التي تتوزع في كلمات البيت أو مجيء حروف تُجانس أحرفا أخرى في كلمات تجري وفق نسق خاص مما شكّل ظاهرة جمالية في مجموعته **(أقول الحرف وأعني أصابعي)** ومن أهم مكونات البنية الإيقاعية في هذه القصائد توظيفه **التكرار** بشكل لافت ليقوم بما يشبه التدفق الإيقاعي الخفي بين ثنايا المفردات.

ومن أبرز الشعراء الذين ظهروا في السبعينيات، "**محمود درويش**" ، فقد وظّفه في كل مستوياته بدءا من تكرار الحرف وانتهاء بتكرار الجملة في مثل قصيدته "**أنا آت إلى ظل**

[1]– الكبيسي عمران خضير، لغة الشعر العراقي المعاصر، وكالة المطبوعات، الكويت، دت، ص182.

[2]– نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، ط3، 1967م، ص242.

عينيك " فقد كرر الجملة الافتتاحية " **أنا آت إلى ظل عينيك** "ست مرات في تضاعيف القصيدة.

ولقد وقع اختياري عليه لما يتميز به من شهرة إبداعية وصلت في السبعينيات إلى كمال نضجها ولأنّه عايش المآسي الفلسطينية وشاهد بنفسه معظم أصدقائه يسقطون في رحاب الحرية والكرامة، والأهم من ذلك تميّز شعره بظاهرة **التكرار** بشتى أساليبه.

وتعد قصيدته **مديح الظل العالي**– محل الدراسة – من أوفر القصائد على هذه الخاصية التي نحاول الكشف عن أسرار وجماليات التكرار فيها.

الفصل الأول: التكرار بين القدامى والمحدثين

أولا: تعريف التكرار

أ- لغة

ب- اصطلاحا

ثانيا: التكرار في الأمثال الشعبية والمقامات وعندعلماء النص

أ- التكرار في الأمثال الشعبية

ب- التكرار في المقامات

جـ- التكرار عند علماء النص